منهج الوسطية الاجتماعي

ورقة عمل مقدمة

لكرسي الأمير خالد الفيصل لتأصيل منهج الاعتدال السعودي

إعداد

أ.د. إبراهيم بن مبارك آلجوير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

منهج الوسطية الاجتماعي

إن المنهج الإسلامي منهج وسطي يقوم على الوسطية والاعتدال بلا إفراط ولا تفريط، فهو يعالج القضايا الشائكة والاضطرابات الفكرية وهو المنهج الذي تسلكه هذه البلاد الحبيبة. والاعتدال من السمات الدينية والحضارية التي تطمح كثير من المجتمعات إلى الظهور بها، كما أن الأمة الإسلامية هي أمة الوسط والاعتدال .

إن القيادة السعودية تبنّت منهج الاعتدال المُستمدّ من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ في كافة شؤونها، وهذا ما أكده القائد المؤسس الملك عبدالعزيز- يرحمه الله - الذي رسم ملامح هذا المنهج وسطَّر صوراً عديدة له منذ أن وحَّد هذه البلاد وجمع شتات شملها تحت راية التوحيد، وسار على هذا النهج من بعده أبناؤه حيث التزموا بهذا المنهج مهما كانت الظروف ومهما تعددت الخطوب، فكانوا في كل شؤون الوطن وحتى في نوازله يحتكمون إلى وسطية المنهج وسياسة الاعتدال ولا يحيدون عنها مطلقاً.وقد نص النظام الأساسي للحكم الصادر بالأمر الملكي رقم أ/٩٠وتاريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ في المادة الأولى:"المملكة العربية السعودية ، دولة عربية إسلامية ، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ،ولغتها هي اللغة العربية ، وعاصمتها الرياض".

وتنص المادة السابعة :"يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله وسنة رسوله ، وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة ".

وتنص المادة الثامنة :"يقوم الحكم في المملكة العربية السعودية على أساس العدل والشورى والمساوة وفق الشريعة الإسلامية "

إن منهج الاعتدال في المملكة يمثّل مرتكزاً أساسياً في جميع التعاملات ﷺوعنصراً حاضراً في التوجهات السياسية والفكرية والثقافية وحتى الاقتصادية من لحظة تأسيس هذه الدولة المباركة على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله انطلاقاً من منهج ديني يؤكد على أهمية الاعتدال والوسطية

وينبذ الغلو والتطرف بجميع أشكاله وهو المنهج الذي سارت عليه بلادنا، إذ نجد التأكيد على الوسطية والاعتدال حاضراً في أحاديث وتصريحات القيادة السعودية في جميع المناسبات والمواقف.

الوسطية في المنهاج الإسلامي إجمالا

جاء وصف الأمة الإسلامية بالأمة الوسط، في قول الله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } . (البقرة الآية ١٤٣).

وفي الحديث الشريف، أن الرسول ﷺ قال: « يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقال لنوح من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمّته، قال: فذلك قوله: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } . قال: والوسط: العدل، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم » . (رواه البخاري / ٤٤٨٧).

وفي تفسير ابن كثير عند تفسير الآية : يقول تعالى إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل والوسط ههنا الخيار والأجود كما يقال قريش أوسط العرب نسبا ودارا أي خيرها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه أي أشرفهم نسبا ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي العصر كما ثبت في الصحاح وغيرها ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب) تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٩١ ،تبدو وسطية الإسلام واضحة وظاهرة، في منهاجه الأعدل والأقوم.

فالمنهاج الإسلامي القائم على الإيمان بالله، ووحدانيته، وتنزيهه، وإفراده سبحانه وتعالى بالعبادة، هو وحده الذي يضمن للبشر أن يتخلصوا من عبادة غير الله عز وجل.

فهو المنهاج الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، فلم تتخذ الأمة الإسلامية، السائرة على صراط الله المستقيم، أندادًا لله سبحانه، ولم يصفوا الله بأوصاف لا تليق به، كما فعلت اليهود، حين وصفوه بالفقر، وأن يده مغلولة.

ولم تضل كما ضلت النصارى، الذين شبهوا المخلوق بالخالق، وأضفوا على عيسى - عليه السلام- خصائص الألوهية، فغلت فيه، وجعلته شريكًا لله.

إن منهاج الأمة الإسلامية، هو المنهاج الوسط المعتدل في أنبياء الله ورسله، حيث آمنوا بهم جميعًا، ولم يفرقوا بين أحد منهم، أو ينقصوه، أو يقتلوا أنبياء الله، كما فعلت اليهود: { لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ } (المائدة الآية ٧٠) .

ولم يغلوا في أحد منهم، كما فعلت النصارى معِ عيسى ابن مريم - عليه السلام- وإنما قدَّروهم حق قدرهم.

قال صلى الله عليه وسلم: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله » . (رواه البخاري /٦٨٣٠)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى-: (وهذه الفرقة الناجية أهل السنة وهم وسط في النحل كما أن ملة الإسلام وسط في الملل فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقا،بل المؤمنون آمنوا برسل الله وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أربابا كما قال تعالى) ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون (

ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في المسيح فلم يقولوا هو الله ولا بن الله

ولا ثالث ثلاثة كما تقوله النصارى ولا كفروا به وقالوا على مريم بهتانا عظيما حتى جعلوه ولد بغية كما زعمت اليهود بل قالوا هذا عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه، وكذلك المؤمنون وسط في شرائع دين الله فلم يحرموا على الله أن ينسخ ما شاء ويمحو ما شاء ويثبت كما قالته اليهود كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله) سيقول السفهاء من الناس ما

ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها (وبقوله) وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم (ولا جوزوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شاؤا وينهوا عما شاؤوا كما يفعله النصارى كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (قال عدي بن حاتم رضي الله عنه قلت يا رسول الله ما عبدوهم قال ما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم والمؤمنون قالوا لله الخلق والأمر فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره وقالوا سمعنا وأطعنا فأطاعوا كل ما أمر الله به وقالوا) إن الله يحكم ما يريد)وأما المخلوق فليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى ولو كان عظيما)**مجموع الفتاوى ج ٣ ص١٣٧٠-٣٧١**

ووسطية أهل الإسلام المستقيمين على هديه، تبدو في الاعتدال والتوازن بين مطالب الدنيا والنظرة إليها، ومطالب الآخرة والعمل لها، والأخذ بالأسباب المؤدية إلى ذلك، دون إفراط أو تفريط، ودون إسراف أو تقتير، قال الله تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ } . (القصص الآية ٧٧). يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية : (أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل، والنعمة الطائلة في طاعة ربك، والتقرب إليه بأنواع القربات.... ولا تنس نصيبك من الدنيا، أي: مما أباح الله لك فيها من المآكل والمشارب والملابس والمناكح، فإن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا). ج٣/٤٠٠

فالإسلام وسط بين من غلا في أمر الدنيا، ولم يهتم بالآخرة، وبين من غلا في أمر الآخرة، ونظر إلى الدنيا نظرة ازدراء وابتعاد. وهكذا التوازن بين مطالب البدن ومطالب القلب.

فقد بلغ الرسول ﷺ أن ثلاثة رهط، أراد أحدهم أن يصلي الليل أبدًا، وأراد ثانيهم أن يصوم الدهر ولا يفطر، وعزم الثالث على أن يعتزل النساء، فقال صلى الله عليه وسلم : « أنتم قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أنا أصلي، وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني » . (متفق عليه - البخاري/ ٥٠٦٣ - مسلم/ ١٤٠١)

ومن ذلك الاعتدال في تناول الطيبات:

{ يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } . (الأعراف الآية ٣١).

والاعتدال والتوازن في الإنفاق:

{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا } . (الإسراء الآية ٢٩).

{ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } . (الفرقان الآية ٦٧).

الاعتدالية فى السلوكيات:

رسمت الشريعة الإسلامية طريقاً قويماً للسلوك الصحيح للمسلم ، الذي يبتعد عن التشدد في سلوكياته وأفكاره ، ويعتدل في شتى أحواله ..حيث وزع الإسلام حقوق الآخرين بقسط وعدل ، كما يوضحها الحديث الذي رواه البخاري (١٩٦٨) عن أبى حذيفة قال: قال سلمان لأبى الدرداء :" إن لربك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه " وذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : "صدق سلمان "وروى مسلم في صحيحة (٢٦٧٠) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ " هلك المتنطعون " قالها ثلاثا . قال الإمام النووي : أي المتعمقون المجازون الحدود في أقوالهم وأفعالهم . ويلاحظ أن هذا الحديث جعل عاقبة التنطع هي الهلاك ، وهو يشمل هلاك الدين والدنيا ، وأي خسارة أشد من الهلاك وكفى به زجرا .

ولقد شدد القرآن الكريم وأنكر على أصحاب نزعة الميل إلى التشدد في تحريم الطيبات والزينة التي أخرج الله لعباده ، فقال تعالى في القرآن الكريم (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) الأعراف :٣١، ٣٢. وفى القرآن المدني يخاطب الجماعة المؤمنة بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) المائدة ٨٧-٨٨.

وهاتان الآيتان الكريمتان تبينان للجماعة المؤمنة ، حقيقة منهج الإسلام في مقاومة الغلو الذي وجد في بعض الأديان ..فقد روى في سبب النزول أن رهطاً من الصحابة قالوا : نقطع مزاكيرنا , ونترك شهوات الدنيا ، ونسبح في الأرض كالرهبان , وروى أن رجالاً أرادوا أن يتبتلوا أو يحصروا أنفسهم ويلبسوا المسوح (ملابس الرهبان) فنزلت .

وجاء عن ابن عباس : أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الله إني أذا أكلت من هذا اللحم انتشرت للنساء ، وإني حرمت على اللحم ،

فنزلت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) المائدة:٨٧. ذكر هذه الروايات بن كثير في تفسيره " ، بن كثير ج٢ /٨٧،٨٨" ورواها الترمذي (٣٠٥٤) وقال الألباني حسن غريب

ويمكن القول إن ما جاء به الإسلام من أحكام واضحة مفصلة , تهدى إلى الخير والعدل , لهى أهدى طريق للسلوك السوي للمسلم دون تعنت أو غلو حيث نهانا الرسول صلى الله عليه وسلم عن الغلو ، ودعا إلى التيسير والتفاؤل وهذا مما تتناوله - بشيء من التفصيل - النقطة التالية .

الاعتدالية فى توجيهات الرسول ﷺ :

جاءت توجيهات الرسول الكريم في مجملها تدعو إلى الرفق واللين والتوسط ، وعدم المغالاة فقد روى أبو داود (٤٩٠٤) عن أنس بن مالك أن الرسول صلى الله عليه وسلم :كان يقول "لا تشددوا على أنفسكم ، فيشدد عليكم ، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم فى الصوامع والديارات , رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم " " بن كثيرج٤ /٣١٥.

ومن أجل ذلك قاوم النبي صلى الله عليه وسلم كل اتجاه ينزع إلى الغلو في التدين ، وأنكر على من بالغ من أصحابه فى التعبد والتقشف ، مبالغة تخرجه عن حد الاعتدال الذى جاء به الإسلام ، ووازن بين الروحية والمادة ,ووفق بفضله بين الدين والدنيا , وبين حظ النفس من الحياة وحق الرب من الحياة ، التي خُلق لها الإنسان .

وتتضح صور مقاومة الرسول الكريم للتطرف بالحسم والحزم فى عدة مواقف نورد بعضا منها :-

عندما اجتمع ثلاثة من أصحابه يتواصون على أن يرتقوا بعبادتهم على أن يؤود طاقة الإنسان فلما أخبروا عن عبادته صلى الله عليه وسلم كأنهم تقالوها : فقال أحدهم إنى سأصوم الدهر ، ولا أفطر ..وقال الثانى :إنى سأقوم الليل ولا أِنام ..وقال الثالث : أما أنا فلن أتزوج النساء ...عندئذ خرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم " أأنتم

الذين قلتم كذا وكذا ؟ قالوا _وجلين _ نعم يارسول الله...فقال الرسول الكريم " اما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ، ولكنى أصوم وأفطر ، وأقوم من الليل وأنام ،وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى "رواه البخاري (٥٠٦٣)

إن الصيام والقيام عبادتان لهما فى الإسلام مكانة عالية ، ومع ذلك اعتبر الرسول مجرد المغالاة فيها عملاً مرفوضاً ، وذات يوم والرسول مع أصحابه فى سفر ، وكانوا صياماً ،خشي الرسول على أصحابه من وقدة الحر ، ولفح الهجير ، فأفطر ونادى فى أصحابه بأن يفطروا ...وامتثل الصحابة لأمر الرسول إلا نفراً منهم واصل صيامه ، فلما نقل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم نبأهم غضب وقال " أولئك العصاة أولئك العصاة " فلما سمعوا ذلك أفطروا . "رواه مسلم (١١١٤)

ويضع الرسول منهجاً قويماً للاعتدال والقصد فيقول عليه الصلاة والسلام:" **إن هذا الدين متين ، فأوغل** فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضا **قطع ، و لا ظهرا أبقى"**

ضعيف الجامع - الرقم: ٢٠٢٢

وتضع الاعتدالية فى سلوكيات الرسول ﷺ وعلاقاته بأصحابه وسؤاله عنهم ، وتوجيهاته المستمرة لهم ، وعدله بينهم ، وهديهم إلى الصراط المستقيم .وإذا كنا قد عرضنا الاعتدالية فى توجيهات الرسول الكريم ، فإن هناك وجها آخر للاعتدالية ، وهو الجانب الأخلاقي فيها ...فكما توجد اعتدالية فى التشريعات والسلوكيات فإن هناك اعتدالية فى فإن هناك اعتدالية ووسطية كذلك فى الأخلاقيات ، وهذا ما تعرض له النقطة الثانية.

الاعتدالية فى الجوانب الأخلاقية:

إن كل صفة خلقية لها حدها من التوسط ،وهذا الحد قد يزداد عند بعض الناس فتنقلب هذه الصفة الحسنة إلى صفة سيئة ، فالشجاعة ـ فهى صفة محمودة وخلق كريم فى كل الأعراف وعند جميع الشعوب - إن هى إلا وسط بين الطرفين ، فإن هى جاوزت منزلتها هذه فبلغت الطرف الأعلى كانت تهوراً ، أو بلغت الطرف الأدنى كانت جبنا ، وكلا الأمرين ، الجبن والتهور رذيلة ، والجود كذلك وهو من أجل الأخلاق وأكرمها عند الله ، وعند الناس ، وسط بين الإسراف والبخل ..(أحمد حسن الباقورى ،٢٧).

وكذلك من اعتدال قوة العقل حسن التدبير ، وجودة الذهن وثقابة الرأي ، ومن إفراطها يصدر المكر والخداع والدهاء . وخلق العفة يصدر منه السخاء والحياء والصبر وميلها إلى التفريط يحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتقتير والتذلل للأغنياء .(حسنى محمد بدوى ١٩٨٤،٢٦).

كما أن خشوع الإيمان قد ينقلب إلى خشوع النفاق إذا أفرط فيه ، والتواضع قد ينقلب إلى المهانة ،والمهانة قد تنقلب إلى الكبر، والعلو والاقتصاد قد ينقلب إلى الشح والاحتراز قد ينقلب إلى سوء الظن ، والهدية قد تنقلب إلى رشوة ، والعفو قد ينقلب إلى الذل ، والرجاء قد ينقلب إلى التمنى ، والتحدث

بأنعم الله قد ينقلب إلى الفخر بها ورقة القلب قد تنقلب إلى الجزع ،و المنافسة قد تنقلب إلى الحسد ،و التوكل قد ينقلب إلى العجز والمبادرة قد تنقلب إلى العجلة ، والأخبار بالحال قد ينقلب إلى الشكوى .(ابن القيم ، الروح ،١٩٧٥).

وهكذا فإن كل صفة لها شق آخر سئ ، وذلك إذا أفرط المرء في تلك الصفة ، ولعل هذا يؤكد الحاجة إلى الاعتدال في كل شئ ، والتوسط في النواحي الأخلاقية لا يقل أهمية عن التوسط في باقي النواحي التعبدية والسلوكية ،وذلك لأن الأخلاقيات ركن أساسي في الدين الإسلامي ، وجزء مهم في بناء الكيان الروحي للأمة الإسلامية .

وسطية المجتمع السعودي في المجالات جميعها:

لقد حمى الله المملكة العربية السعودية من الوقوع في قبضة الاستعمار الغربي، أو التأثر بحركة التغريب الثقافي والاجتماعي، الذي ساد المنطقة العربية.

وكان ذلك راجعًا في المقام الأول إلى فضل الله سبحانه وتعالى على بلاد الحرمين الشريفين، ثم إلى جهود الدولة السعودية وقادتها الأشاوس، بدءًا من الإمام المجاهد محمد بن سعود - رحمه الله- الذي ناصر دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله-.

تلك الدعوة التي ترمي إلى إنقاذ المسلمين من الضلال، وتخليص عقائدهم من الشوائب، وسلوكهم من الانحراف، حتى يعبدوا الله حق العبادة، مخلصين له الدين، ويسلموا قيادهم له، ويرجعوا إلى كتابه الكريم، وسنة نبيه الأمين صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه سلفهم الصالح.

فأحيت تلك الدولة والدعوة معًا الإيمان الحق في نفوس المسلمين، وردتهم إلى دين الله وتطبيق شريعته.

ولقد تُوجت تلك الجهود بما قام به الإمام المجاهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله- في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، من توحيد للمملكة العربية السعودية، رسخ قواعدها على عقيدة الإسلام وشريعته، وحقق لها الأمن على دينها وعروبتها وتراثها وثقافتها، وبدأت المملكة تقدمها ونهضتها؛ لكي تحتل مكانتها في العالم الإسلامي، وعلى المستوى الدولي أيضًا.

وعلى هذا الأساس المتين من توحيد المملكة على يد الملك عبد العزيز - رحمه الله- ومن ترسيخ قواعدها بحفظ الدين، ونشر الأمن في ربوعها، وإقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمعها، انفتح أمام أبناء المملكة الإسهام في خدمة الدين والوطن على مصراعيه بالدعوة إلى الله والعمل الصالح.

ويسَّر قادة المملكة كل العقبات في طريق الدعوة إلى الله، في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله-، ومن خَلَفه من أبنائه الكرام، حتى العهد الحاضر، عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، وسمو ولي عهده الأمين، حفظهما الله ورعاهما، ونصر بهما دينه، وأعلى بهما كلمته، حيث أقيمت المؤسسات التعليمية والدعوية والتثقيفية لخدمة أبناء المملكة، وإعدادهم إعدادًا يمكِّنهم من خدمة دينهم ودولتهم ووطنهم، والإسهام في ذلك بما يجعل أداء هذه الدولة المباركة لرسالتها الإسلامية في الداخل والخارج، أداء قويًّا مستمرًّا ، وفق الأسس التي قامت عليها.

وهذا يؤكد علينا، وفي مختلف المناسبات، أن نبين ما ينبغي أن يكون عليه شبابنا، من صدق في الانتماء للدين والوطن، وطاعة لولاة الأمر، وقوة فيما هم عليه من الحق، وسلامة فيما يتخذونه من وسائل في التثقيف والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مستمدين ذلك كله من كتاب الله الكريم، وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وما سار عليه سلفنا الصالح، وما أحياه وجدده علماء الدعوة وأئمتها في هذه البلاد، بدءًا من الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله- وتلامذته، ومن تبعهم على ذات المنهاج والطريق.

إن من فضل الله على هذه المملكة، أن أمور الدعوة فيها من أول اهتمامات أولي الأمر، ومن أعظم واجباتهم، وقد قامت على أسس مستمدة من الكتاب والسنة، ووضع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الصورة التي تحقق الهدف منه.

والباب مفتوح أمام أبنائها للإسهام في خدمة دينهم ووطنهم بالعلم والعمل في جميع المجالات، دون غلو أو تطرف، أو خروج على منهاج الوسطية الأقوم والأعدل، الذي جعله الله حقيقة هذه الأمة، التي تمثل المملكة العربية السعودية به اليوم، الواقع الحي لها، حيث تطبق الشريعة، وتلتزم الفضيلة، وتدعو إلى الخير والبر والإحسان، دونما شطط ولا غلو ولا تطرف، ولا انتماءات حزبية أو سياسية.

بل كيان الدولة والمجتمع، كيان قائم للإسلام، وعلى الإسلام، ومن أجل رسالة الإسلام.

والخشية أن يتأثر أحد من شبابنا في المملكة بما حدث في مجتمعات أخرى، من انتماءات مذهبية أو سياسية، كانت مُفرّقة للصف ومُضعفة للجماعة.

وبلاد الحرمين لا تقاس على غيرها من الدول والمجتمعات، فدستورها الكتاب والسنة، ونظام الحكم فيها قام عليها، التزم بهما، وطبق أحكامهما، فلا يصح فيها وجود التجمعات أو التكتلات، معلَنة أو خفية، مما يتعارض مع ما قامت عليه الدولة، وما تدعو إليه وتعمله من خلال مؤسساتها القائمة.

ولا يصح أن يسلك أحد من شبابها مسلكًا، يكون له أثر قريب أو بعيد في تفريق الكلمة، أو إضعاف كيان الدولة أو الأمة، أو يتخذ وسيلة من الوسائل التي لا تتلاءم مع الطريق الصحيح للدعوة، والأسلوب الأنفع فيها، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة ولي الأمر، والاقتداء بالعلماء الثقات المعتبرين، واحترامهم، والتتلمذ عليهم، والنصح لله ولأئمة المسلمين وعامتهم، نصحًا يجلب المصالح ويرعاها، ويدرأ المفاسد ويتجنبها.

منهج الاعتدال السعودي للأمير خالد الفيصل في محاضرته في الجامعة الإسلامية يوم الثلاثاء ١٤٣٣/١/٢٥هـ واستمعت إليها ونشرت في صحيفة المدينة يوم الأربعاء ١٤٣٣/١/٢٦هـ في عددها ١٧٧٧٣:

(لقد طرحتُ مصطلح «منهج الاعتدال السعودي» وأنا أعنيه تمامًا، فهو منهج لأنه ثابت، وهو اعتدال بمعنى التزام العدل الأقوم، والحق الوسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، وهو التفسير العملي لقوله -جل وعلا - «وكذلك جعلناكم أمة وسطًا، لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدًا...»، حيث فسر الرسول صلى الله عليه وسلم الوسط هنا بالعدل.

ووصفتُ الاعتدال بالسعودي، لأن المملكة العربية السعودية قد (انفردت) على الساحة الإسلامية، ببناء دولتها على شرع الله وحده في الكتاب والسنة.

فالإسلام - كما هو معلوم - خاتم الرسالات السماوية، قد جاء وسطًا عدلًا بين كل طرفين خارجين عليه: فهو وسط بين الانجراف في المادية، وبين الاستغراق في الروحانية، وهو وسط بين من ألّه الأنبياء، وبين من كذبهم وقتلهم، وبين من يسيد العقل مطلقًا وحده، ومن يعطلونه تعلقا بالوهم والخرافة.

والإسلام ينكر الرهبنة، ويستنكر المغالاة حتى في العبادة، كما جاء في رد الرسول صلى الله عليه وسلم على من يصلي فلا ينام، ومن يصوم ولا يفطر، ومن لا يتزوج النساء، حيث قال: «... أما أنا فأصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني«.

وإذا كان هناك من يدعو المجتمع المسلم إلى الجمود والقعود والانسحاب من العصر، فإن هناك فريقًا آخر لا يقل خطرًا على هذا المجتمع، يحمل لافتات: كسر القيود، والخروج على المألوف، والحرية المطلقة، ويركب موجة الانسلاخ عن قيم الإسلام، ويعتمد نقل النموذج الغربي، دون سبر جوهره وفلسفته، وهذا التيار هو أداة غزوة منظمة من المتربصين بالإسلام والوطن، تشجع هذا الخروج وتروج له، وتبالغ في تكريم أصحابه والدعاية لهم، وبهذه المغريات تستقطَب الفراشات الساعية إلى حتفها نحو شعاع حارق !.

وهذا الفريق يحذو حذو الدعوة القديمة في الغرب، لفصل الدين عن الدولة، التي صاحبت الثورة الصناعية، وكانت - بزعمهم - سببا في النجاح الذي حققه، ومن ثم (ينصحوننا) أن نأخذ بتجربته حزمة متكاملة، دون النظر إلى خصوصيتنا. ولا شك أن كل هذه الادعاءات - كما تعرفون - باطلة:

أولًا: لأن الإسلام دين ودنيا، لم يقتصر على تنظيم العلاقة بين الإنسان وبين خالقه فحسب، بل نظم أيضًا كل التفاصيل في حياته، وأسس لعلاقة الفرد بالفرد، وعلاقته بالجماعة، على نحو لا يشوبه خلل أو قصور، فلماذا نستورد أفكار الغير، ولدينا معين لا ينضب من الفكر الشامل الراسخ والمعصوم؟!

ثانيًا: لأن إنكار خصوصية هذه البلاد، باطل وعار عن الحقيقة تمامًا، فهي بلد الحرمين الشريفين، ومهبط الوحي بآخر الرسالات، وبلسانها العربي نزل آخر الكتب السماوية، ومنها بُعث خاتم الأنبياء والرسل عربيًا، وقد شرفنا المولى -جل وعلا - بجوار بيته العتيق، ومسجد رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وبخدمة ضيوفه من الحجاج والمعتمرين والزوار، لذلك فإن هذه البلاد وإنسانها، على رأس المكلفين بتبليغ الرسالة ونشر الدعوة، وتقديم المثل والقدوة للإسلام: مواطنًا ودولة، فالخصوصية هنا تشريف وتكليف معًا.

وبرأيي أنه في خضم الأحداث الراهنة في الوطن العربي، والنتائج الأولية التي تشير إلى التوجه الإسلامي في الكثير من بلدانه، ما يؤكد أن الثورات العربية الحالية، تختلف عن الثورات الأوروبية في العصور الوسطى، حيث قامت الثورات هناك ضد الكنيسة، بينما تقوم هنا الآن لصالح المسجد.

وهذا يحتم تقديم «منهج الاعتدال السعودي» نموذجا ناجحًا للدولة الإسلامية، المتمسكة بالقيم الإسلامية، والمنفتحة على المكتسبات العلمية والحضارية للعصر، فيما لا يتعارض مع جوهر الإسلام وقيمه.

وتبرز مسؤولية المملكة - قيادة وشعبًا - في مواصلة نجاح النموذج وتطويره، عبر مشروع الإصلاح والتطوير الذي يقوده خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في كل المجالات: السياسية، والاقتصادية، والعدلية، والإدارية، والعلمية، والثقافية، وغيرها، ليظل الأنموذج الأمثل، الذي يمكن البناء عليه من قبل الباحثين عن نظام إسلامي معاصر، ولعل هذه هي أهم خصوصيات المملكة العربية السعودية.

ثالثًا: ليس في الإسلام ما يدعو إلى التخلف، فهو الدين القائم على جناحي استخلاف الإنسان على الأرض: عبادة الله وحده - جل وعلا -، والعمل على تطوير الحياة وترقيتها، ونستطيع أن نقدم التجربة السعودية، تطبيقا حيًا لهذه النظرية الإسلامية، لندلل على أن التخلف لا دخل للدين فيه، وأنه محض صناعة بشرية، فالإسلام ليس دين تخلف وقعود، وإنما هو دافع قوي للتقدم والتطور، وإذا كان من تقصير فليتحمل المقصرون وحدهم وزره، وليجتهدوا لإصلاحه، ولا يجيرون مشكلتهم الذاتية طعنًا في الدين.

رابعًا: أن العصر الإسلامي المزدهر، قد قدم أول نظام عولمي إيجابي، وحد البشر في دولة عظمى، ينعم فيها الجميع بالخير والعدل، بينما عولمة اليوم قد تحمل بعض النفع، لكنها لا تخلو من أثر سلبي في بعض تطبيقاتها.

خامسًا: أن الأفكار لا تنقل كالأحجار، ولا تُفرض فرضًا خارج مواطنها، دون احترام للقيم والخصوصيات المتباينة، لأن المنتج الفكري لا يخضع للمقاييس نفسها التي تطبق على المنتج المادي.

سادسًا: أن قيم الغرب التي يتغنى بها هؤلاء من عدل ومساواة وحرية وما إلى ذلك، قد جاء بها الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا فهي ليست اختراعا غربيًا أو شرقيًا.

لذا فلا بد من تعليق الجرس، لكلا الفريقين الخارجين عن القيم الوسطية في الإسلام: الغالين في الدين، والداعين للانسلاخ عن قيمه، للعودة إلى الطريق القويم، قادة لحركة المجتمع، وسفراء له في العالم، ينافحون عنه ضد الناقمين علينا نعمتي الأمن والرخاء.

وقارئ التاريخ يدرك أن الدولة السعودية، منذ «الحركة الإصلاحية التجديدية» التي قامت مراحلها الأولى بقيادة الإمام محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، قد اعتمدت منهج الاعتدال السعودي الذي يدل عليه توصيف الحركة في المصطلح التاريخي، ولم تحد عنه طوال مسيرتها.

وعلى هذا الأساس، انطلق الملك عبد العزيز - بعد التوحيد - إلى تنمية البلاد، وتطوير المجتمع البسيط آنذاك، إلى مجتمع عصري متحضر، فبنى الهجر، وحفر الآبار ليساعدهم على الزراعة والتوطن والاستقرار، وأرسل المعلمين والقضاة والدعاة، يعلمونهم القراءة والكتابة وأمور الدين، وبعدها افتتح المدارس لتعليم منتظم، ثم أقام هيكل الإدارة، وأدخل الآلة: السيارة والطائرة والقطار والبرقيات والراديو.

وحين عارض أصحاب الفكر المتطرف هذا التحديث بدعوى التحريم! ما كان من الملك المؤسس إلا أن نظم حلقات نقاش في طول البلاد لدراسة الاعتراض، أسفرت عن الانتصار لما فعل، لكن الرافضين شرعوا في وجهه السلاح، فواجههم بالمثل وانتصر عليهم، وفرض التحديث فرضا، على أساس منهج الاعتدال السعودي.

ثم إنه حين رأى في الحرم المكي منابر متعددة، وكلا يصلي وراء إمامه حسب مذهبه، وحدها في منبر واحد، وعين شيخًا مصريًا شافعيًا إمامًا للحرم المكي!

وقبل قيام جامعة الدول العربية بسنوات، كان الملك عبد العزيز قد أسس مجلسًا استشاريا ضم نخبة من المفكرين العرب إلى جانب السعوديين، ليتواصل بذلك منهج الاعتدال السعودي، فلا تعصب ولا تشدد، ولا بأس أن نستفيد من كل فكر لا يخالف شريعتنا.

لكن الفكر الرافض لم يهادن، ولا هادنته الدولة أبدًا، ففي عهد الملك سعود - يرحمه الله- بدأ فتح المدارس للبنات، رغم اعتراض البعض، الذين هم اليوم أول من يطالب بإلحاح لتعليم بناتهم، ولم يوقف الاعتراض المسيرة.

فقد تصدى الملك فيصل -يرحمه الله- وبقوة لاعتراض الرافضين، وواصل فتح مدارس البنات، وحماية الطالبات من اعتراض طريقهن وتهديدهن، كما أدخل التلفزيون رغم اعتراض البعض أيضًا.

وكان المد الشيوعي في أوجه، قد غطى معظم الساحة العربية، وجرت محاولات نقله إلينا، لكن المملكة هي الوحيدة التي صمدت أمام الهجمة،

وتمسكت بدينها الحنيف، بكل إصرار وعزم وثبات، رغم الحملات الإعلامية الشرسة، التي تصاعدت إلى الحرب المسلحة، وانتصر فيصل على تطرف الداخل والخارج، ومضى إلى حركة تطوير شامل، باستكمال إنشاء المؤسسات الحكومية والاجتماعية وتنظيم البنوك، وتحرير الرق، فيما عرف حينذاك بالنقاط العشر التي طرحها الملك فيصل لتنظيم الحكم.

ولم يستكن التطرف، بل عاد لمحاولاته في عصر الملك خالد -يرحمه الله- بحركة جهيمان، التي هددت الطفرة الاقتصادية والتنموية، التي عاشتها المملكة آنذاك، ومرة أخرى ينتصر منهج الاعتدال السعودي، فيقضى على المجموعة التي احتلت الحرم، ومنعت الصلاة فيه لعدة أسابيع.

وعاودت جذور الفكر الكامنة انطلاقها مجددًا في عهد الملك فهد -يرحمه الله- ولكن بتناغم عجيب بين تيارين: المتطرفين التكفيريين في الداخل، وصدام حسين بفكره المتطرف الإلحادي، الذي غزا الكويت وهدد دول الخليج على أساسه، وهذا التحالف يؤكد أن التطرف الذي يتزين بعباءة الدين الإسلامي ليس منه في شيء، وإنما هي أطماع سياسية تسعى للاستيلاء على السلطة، تبنتها كل الحركات المبثوثة في الوطن العربي والشرق الأوسط، وأساءت لنا أيما إساءة لدى العالم أجمع.

ومرة أخرى ينتصر منهج الاعتدال السعودي، بإصرار الملك فهد على الوقوف بحزم في وجه الغزو الخارجي، والتيارات المتطرفة الداخلية، حتى تحررت الكويت من عدوان الفكر الإلحادي، واضطر الكثير من قيادات التطرف في الداخل، أن يعلنوا عودتهم إلى الاعتدال وتخليهم عن قناعاتهم السابقة.

ثم جاء عهد الملك عبد الله الزاخر بالخير والتغيير من أجل التطوير، على منهج الاعتدال السعودي، وهو يؤكد هذا المنهج بقوله:

«إننا نرحب بعولمة التجارة وبعولمة الاستثمار، ولكننا نرفض عولمة الفكر الفاسد، ونرفض عولمة الانحراف الذي يختفي تحت أسماء براقة، وهذا لا يعني الجمود في الحركة فصدورنا وبيوتنا مفتوحة لكل جديد مفيد، ولكنها موصدة في وجه الرياح التي تحاول زعزعة معتقداتنا، وخلخلة مجتمعاتنا فمنهجنا يستمد قوته من وسطية الإسلام، التي نتخذ بها موقفًا معتدلًا من القديم والجديد».

ومع ذلك عاد التطرف الداخلي أشد عنفًا: تكفيريًا تفجيريًا، يجند شبابنا ويلوث عقولهم، ليفجروا أنفسهم بين إخوانهم المسلمين والمقيمين في ذمتنا، ويهددون المجتمع ويحطمون مكتسباتهم الحضارية.

ومرة أخرى ينتصر منهج الاعتدال السعودي، وتتفوق المواجهات الأمنية الاستباقية على هؤلاء، ويفتح باب المناصحة والكفالة للعائدين منهم عن غيهم لأنهم في النهاية أبناء الوطن المغرر بهم.

ولم يكن مستغربا مع ثورة الاتصالات والمواصلات وانفتاح العالم على بعضه البعض، أن يظهر لدينا -على الجانب الآخر- ذلك التيار المتطرف المستورد، المتأثر بثقافة الغرب، كردة فعل للتيار الأول التكفيري، وكلا التيارين لا يفتأ يحاول خطف منهج الاعتدال السعودي.

لكن المملكة رغم هذه التحديات قد استطاعت، بعون الله تعالى، ثم بحنكة وعزيمة قادتها، وإرادة شعبها، الانتصار على التطرف في جانبيه، والتغلب على كل التحديات بمنهجها المعتدل، الذي حول تلك التحديات إلى فرص إيجابية، وحضور سياسي قوي، واقتصاد مميز على الساحة الدولية.

لقد تقدم نظامنا في المملكة بما يفوق كثيرًا ما حققته الأنظمة التي ابتعدت عن الدين، وتلك التي جمدت على حالها وتقوقعت في بيات طويل، وأثبتت المملكة أن النظام الإسلامي هو الأكثر صمودًا أمام زلزال الاقتصاد العالمي,

وغدت المملكة العربية السعودية من أفضل دول العالم تطورا، لا بسبب البترول كما قد يعتقد البعض، لأن غيرنا لديه البترول والمياه والزراعة وتاريخ سابق في الحضارة، ولكنه لم يرق إلى درجة بلادنا، وحقيقة الأمر أن ما وصلت إليه المملكة، كان نتاج فكر ومنهج وقيم وحنكة القيادة وتجاوب المواطن وجهده.

وقد فصل خادم الحرمين الشريفين في هذه المسألة بقوله « نحن لدينا أهم من البترول: ديننا الإسلام، والكعبة المشرفة، فالعرب لم تقم لهم قائمة إلا بالإسلام، وهو ثروتنا الحقيقية».

وفي الوقت الذي تتهدد العالم توابع الزلزال الاقتصادي وتهتز حكومات الغرب بسببه، وتضج جنبات وطننا العربي بزلازل الثورات التي تراق فيها الدماء، وتدمر المكتسبات، فإننا - ولله الحمد والمنة - ننعم بالأمن والرخاء، وبالتحالف الفريد بين المواطن وقيادته التي تبادر دائمًا بتلبية حاجاته وتوفير العيش الحر الكريم له.

ولننظر إلى ما تحقق لنا من تطور حضاري في كل مجالات الحياة حتى انتقلنا بأمان من حال القبائل المتفرقة، إلى بلد متحضر يتربع على قدم المساواة مع أكثر الدول تقدمًا في قمة العشرين.

جاهد الآباء والأجداد واجتهدوا من أجل ذلك ونحن اليوم مطالبون بمواصلة مسيرة الخير على ذات النهج وهي أمانة في عنقنا للجيل الحاضر وأجيال المستقبل.

أهم تطبيقات منهج الاعتدال:

أولًا: في السياسة الخارجية:

اتسمت سياسة المملكة منذ أنشأ الملك عبد العزيز وزارة الخارجية، وحتى يومنا هذا، بالثبات على منهج واحد عنوانه»الاعتدال»، ومن أهم الدلالات على ذلك:

١. أن المملكة لا تسمحُ لأحد بالتدخل في شؤونها الداخلية، وفي المقابل تلتزم بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير.
٢. استطاعت قيادة المملكة -منذ تأسيسها- تجنيب البلاد ويلات الحرب والمغامرات غير المحسوبة، التي أقدم عليها غيرها من دول المنطقة، على حساب مشروعها التنموي، بل وعلى حساب سيادتها الوطنية.
٣. شاركت المملكة في تأسيس هيئة الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، وكان لها الدور الريادي في قيام مجلس التعاون الخليجي، وهي عضو في عديد الهيئات والمنظمات العربية والإقليمية والدولية، وقد توجت مؤخرًا عضوًا في «نادي دول قمة العشرين» العالمية.
٤. تتبوأ المملكة موقعًا عالميًا مميزًا، وتؤدي دورًا هامًا في نصرة القضايا الإنسانية العادلة، كما أنها بذلت مساعيها للتوسط بين الفرقاء العرب والمسلمين، تكللت غالبيتها بالنجاح، وقد اكتسبت مصداقيتها في محيطها العربي والإسلامي ببقائها على مسافة واحدة من كل أقطاره.
٥. باعتبارها حجر الزاوية في سوق النفط العالمية، انطلقت المملكة في سياستها من رفض الاحتكار، ووازنت دائمًا بين مصلحة المنتج وحاجة المستهلك.
٦. كانت المملكة - ولا تزال - رائدة الدعوة إلى الحوار والتسامح والسلام، بدأته محليًا بمركز الحوار الوطني، الذي أسهم في نبذ التطرف ومقاومة الإرهاب، ثم تبعته بتنظيم حوار موسع بين علماء الطوائف في البلاد الإسلامية، ومؤخرًا تم تأسيس «مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز

العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات» في العاصمة النمساوية، ليؤدي المهمة على النطاق الإنساني كله.

٧. استطاعت المملكة العربية السعودية - منفردة - بفضل منهج الاعتدال، أن تثبت أمام كل التيارات الإلحادية غير الدينية، التي اجتاحت المنطقة العربية، منذ مطلع النصف الثاني من القرن الماضي، ولا تزال تطل برأسها حتى يومنا الحاضر، وظلت المملكة - وحدها على الساحة - قابضة على الكتاب والسنة، بمنهج الاعتدال فيهما، رغم ما كلفها ذلك من اتهامات باطلة، ونعوت استفزازية، ومؤامرات دنيئة - من القاصي والداني - منذ نشأتها وإلى يومنا هذا.

ثانيًا: في السياسة الداخلية:

بتوحيد البلاد، استطاعت قيادة المملكة العربية السعودية، أن تحقق أنجح وحدة عربية في التاريخ الحديث، وأن تحافظ على ديمومتها واستقرارها، من خلال عدة أمور أهمها:

١. تحقيق العدل: بتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع محاكمها، وإخضاع كل أنظمتها لمقتضى الشرع الحنيف، ويشهد القضاء في الوقت الراهن مشروعًا ضخمًا يتبناه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز لتطوير أدائه.
٢. نشر الأمن: بتأمين جميع وسائله وأسبابه للمواطن والمقيم، وللوافدين من ضيوف الرحمن الذين كانوا يعانون شتى أنواع المخاطر قبل قيام الدولة السعودية.

ثم إن المملكة واجهت التطرف والإرهاب - في الداخل والخارج - بكل الحزم، انطلاقًا من موقفها الثابت الذي أعلنه صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية، في اجتماع لجنة متابعة تنفيذ الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب في تونس عام ٢٠٠٠م، حين قال: « إننا نأتي في طليعة الأمم والشعوب التي تنبذ العنف والإرهاب بكافة أشكاله وأنواعه، وندعو إلى التسامح والإخاء والمحبة، انطلاقًا من مبادئنا الإسلامية التي تحرم ترويع الآمنين وسفك دماء الأبرياء، والتعدي على الحقوق والممتلكات، وانتهاك الأعراض والحريات».

٣. نشر المعرفة: بتوفير كافة وسائلها وآلياتها، من خلال افتتاح المدارس والجامعات، وابتعاث ما يزيد عن مائة ألف من أبنائها وبناتها إلى أرقى جامعات العالم لكل التخصصات، في أضخم مشروع تعليمي يشهده

وطننا العربي في العصر الحديث. كما شهدت البلاد تطورًا هامًا في الكم والكيف بميدان الإعلام، والأندية والمؤسسات الثقافية، التي أصبحت منارات تشع العلم والمعرفة في كل أرجاء البلاد.

٤. تمكين المرأة وتعظيم دورها كشريك فاعل في تنمية بلادها، والوصول بها إلى المجالس البلدية ومجلس الشورى، طبقًا للضوابط الشرعية.

٥. التوسع في نظام الانتخاب للمجالس البلدية، والأندية الأدبية، والغرف التجارية، وغيرها.

٦. التنمية الشاملة والمستدامة: من خلال خطط خمسية بدأت العام ١٣٩١هـ، ومخططات إقليمية طويلة الأمد أعدت حديثًا لكل منطقة.

وتستهدف كل هذه الخطط تطوير شتى المرافق والخدمات الأخرى: الاقتصادية، والصحية، والاجتماعية وغيرها، في واحدة من التجارب التنموية الاستثنائية العالمية، من حيث حجم الثمرة، وزمن النضج والقطاف. وعليها يقوم مشروع طموح يقفز عبره خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - يحفظه الله- بالبلاد إلى مصاف العالم المتقدم، في حمى قيم الاعتدال الإسلامي الذي انتهجته البلاد منذ تأسيسها.

ثالثًا وأخيرًا: فيما يتعلقُ برؤيتي لحماية هذا المنهج:

فإنني أعتقد - ولعلكم توافقونني- بأن كل هذه النجاحات التي حققتها المملكة العربية السعودية «بمنهج الاعتدال السعودي» والمكانة السامقة التي تبوأتها عالميًا بكل التقدير والاحترام، أهلتها لتكون التجربة الأنموذج المعاصرة لنجاح النظام الإسلامي، كيف لا وهي الدولة الوحيدة في العالم التي ربطت دستورها بالكتاب والسنة، وتخضع كل أنظمتها لتعاليم الإسلام وقيمه؟!

رايتها عبارة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وفيها قبلة المسلمين: الكعبة المشرفة في البيت العتيق، ومسجد رسول الهدى صلى الله عليه وسلم في طيبة الطيبة، وهي من أكثر البلاد العربية والإسلامية أمنًا واستقرارًا.

ولديها مكانة اقتصادية جاوزت حدود الدول النامية، وأهلتها لتكون شريكًا مؤثرًا عالميًا، كما أن لديها برنامجًا تنمويًا لا أعتقد أن له الآن مثيلًا في المحيط العربي والإسلامي.

وهذا في نظري هو ما جعل الهجمة الشرسة تشتد وتستعر، في الوقت الحاضر على المملكة من أعدائها، الذين هم في الواقع أعداء الإسلام، ممثلًا في الدولة الوحيدة التي تطبقه على حقيقته.

ولهذا فإن كل من يغارون على الإسلام في كل العالم، ويريدون الخير له، ويحرصون على أن يواصل النظام الإسلامي مسيرة نجاحه، وأن يحصَّن في مواجهة هذا الهجوم - المتعدد الجهات- ضده، عليهم أن يوحدوا صفوفهم مع المملكة العربية السعودية، قيادة وحكومة وشعبًا لنصرة الدين ونظامه، لا بالدعوات والتمنيات فحسب بل بالقول والفعل والعمل.

كما أن هذه اللحظة الحاكمة توجب علينا في جبهتنا الداخلية، مواصلة مسيرتنا صفًا خلف قائد الإصلاح والتطوير في بلادنا، خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، وأن نؤازره بكل ما نملك من فكر وجهد وإخلاص وأمانة، وأن نسد الثغرات التي ينفذ منها أعداؤنا لمواصلة حملتهم علينا، كذبًا كانت أم حقيقة.

إنها فرصتنا جميعًا لنقدم للعالم الوجه الحقيقي الناصع للإسلام.

إسلام الإصلاح.. والتطوير.. والبناء.. إسلام العدل.. والحرية.. والمساواة..

إسلام القيم الإنسانية الأصيلة.. إسلام كل العصور.. ونشهد الدنيا بأن القائد.. والمسؤول.. والمواطن السعودي.. أهل لهذه المهمة الجليلة.)

وسطية المجتمع السعودي في المجال الاجتماعي:

يقوم تيار الوسطية على جملة من الدعائم الفكرية،وتميزه عن غيره من التيارات، تتمثل في

١. الملائمة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر.
٢. فهم النصوص الجزئية للقرآن والسنة في ضوء مقاصدها الكلية.
٣. التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة.
٤. التشديد في الأصول والكليات، والتيسير في الفروع والجزئيات.
٥. الثبات في الأهداف، والمرونة في الوسائل.
٦. الحرص على الجوهر قبل الشكل، وعلى الباطن قبل الظاهر، وعلى أعمال القلوب قبل أعمال الجوارح.
٧. الفهم التكاملي للإسلام بوصفه: عقيدة وشريعة، دنيا ودين، ودعوة ودولة.
٨. دعوة المسلمين بالحكمة، وحوار الآخرين بالحسنى.
٩. الجمع بين الولاء للمؤمنين، والتسامح مع المخالفين.

١٠. الجهاد والإعداد للمعتدين، والمسالمة لمن جنحوا للسلم.
١١. التعاون بين الفئات الإسلامية في المتفق عليه، والتسامح في المختلف فيه.
١٢. ملاحظة تغير أثر الزمان والمكان والإنسان في الفتوى والدعوة والتعليم والقضاء.
١٣. اتخاذ منهج التدرج الحكيم في الدعوة والتعليم والإفتاء والتغيير.
١٤. الجمع بين العلم والإيمان، وبين الإبداع المادي والسمو الروحي، وبين القوة الاقتصادية، والقوة الأخلاقية.
١٥. التركيز على المبادئ والقيم الإنسانية والاجتماعية، كالعدل والشورى والحرية وحقوق الإنسان.
١٦. تحرير المرأة من رواسب عصور التخلف، ومن آثار الغزو الحضاري الغربي.
١٧. الدعوة إلى تجديد الدين من داخله، وإحياء فريضة الاجتهاد من أهله في محله.
١٨. الحرص على البناء لا الهدم، وعلى الجمع لا التفريق، وعلى القرب لا المباعدة.
١٩. الاستفادة بأفضل ما في تراثنا كله: من عقلانية المتكلمين، وروحانية المتصوفين، وإتباع الأثريين، وانضباط الفقهاء والأصوليين.
٢٠. الجمع بين استلهام الماضي، ومعايشة الحاضر، واستشراف المستقبل

ويسعى النظام الاجتماعي السعودي لتطبيق الوسطية حيث أن الحكومة السعودية أخذت على عاتقها نشر الوسطية في محاولة جادة لكبح "أورام التطرف الفكري وانتشارها ومحاربتها عبر برامج الحوارات الفكرية والمؤتمرات التي تسعى الدولة إلى تثبيتها في مجال التسامح ووضع حد للتطرف الفكري ."

فالفكر الوسطي ليس ظاهرة جديدة في الثقافة الإنسانية وأن الاعتدال يجب أن يحيط بكل أفكارنا وبكل تصرفاتنا بعيداً عن الغلو والتطرف، وبعيداً عن الانغلاق والتقوقع في الذات .

أن غياب "الحرية والحقوق والأمن الاجتماعي وبروز الفساد من الناحية التطبيقية مدعاة للتطرف في أي مجتمع كان ."

و السلطات السعودية بدأت بتطبيق الإصلاحات من خلال إجراء الانتخابات البلدية ومحاربة الفساد في الحكومة والتي من شأنها تعزيز هذه الوسطية .

ومن خلال برنامج المناصحة التي أطلقها السعوديون وهو يهدف إلى تأهيل الأشخاص ذوي الفكر المتطرف من خلال تصويب أفكارهم المغلوطة عن الإسلام وإعادة دمجهم في المجتمع .

٢١. حرص المؤسسات الاجتماعية بتوجيهات من الدولة إلى إدماج المرأة في شراكة اجتماعية وفق الضوابط الإسلامية مع التركيز على المبادئ والقيم الإنسانية والاجتماعية، كالعدل والشورى والحرية وحقوق الإنسان.

اتخذت المملكة العربية السعودية منهج الوسطية والاعتدال منهجاً لها في جميع شؤونها ، الدينية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، مُستمدة منهجها الوسطي من دينها الإسلامي ، والذي يدعو للوسطية ، ويُحذر من كل ما يتعارض معها من إفراط وغلو ، أو تفريط وتقصير وجفا .
حيث أن المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على يد المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود قامت على اتخاذ كتاب الله وسنة رسوله دستورا لها.
**** وهناك أربعة أسس قام عليها منهج الاعتدال السعودي،**
أولها هو التمسك بكتاب الله الذي يدعو إلى إخلاص العبادة لله - عز وجل - بمنهج سديد وأسلوب حكيم متدرج متنام، مستشهدا بقول الله تعالى (قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، لافتا إلى أن القرآن الكريم أشتمل على العديد من القصص والحوارات التي قصها الله - عز وجل - على رسوله؛ للاتعاظ والعبرة مما جرى لهذه الأمم وما وقعت فيه من الزيغ والهلاك.
كما إن الأساس
الثاني لمنهج الاعتدال السعودي هو السنة النبوية المطهرة اقتداء بنهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي كان قدوة وأنموذجا في أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته"، وأيضا المصدر الثاني للتشريع، وقد تكون الأول للكثير من أحكام الدين، حيث أن المملكة أولت الكتاب والسنة النبوية العناية والرعاية والاهتمام قولا وعملا وعقيدة وفكرا ومنهجا وسلوكا حتى أصبحت مضرب المثل في الاعتدال".
كما أن السير على نهج السلف الصالح الذين نشروا الإسلام بأخلاقهم ومعاملاتهم الناس بالحسنى هو الأساس
الثالث لمنهج الاعتدال السعودي، مقتدين في ذلك بتعاليم القرآن (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)،
والأساس
الرابع يتمثل في العدل الذي قامت عليه السموات والأرض.
كما أن مناهج التعليم التي تُدرّس في المراحل التعليمية المختلفة في المملكة العربية السعودية حافلة " بما يُربي الطالب على التوازن والوسطية ، وإتباع الدليل ، وترك الافتراق والأهواء والبدع المحدثة ، وقد صانت هذه المناهج ـ وطيلة عقود متوالية ـ أفكار أبناء المجتمع السعودي

عن الغلو والجفاء " ، ومواد التربية الإسلامية مواد أساسية وتُدرّس بشكل مُكثف في جميع مراحل التعليم العام ، والتي يتعلم الطلاب من خلالها العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وما يرتبط بها من أحكام ، وما يترتب عليها من عبادات وفرائض ، فينشأ الطالب منذُ نعومة أظفاره على المنهج الصحيح ، فيكون مُتبعاً للسنة ، مُبتعداً عن كل ما يُخالفها من البدع والشركيات ، مُنكِراً لكل ما يضر بالمعتقد كالشعوذة والسحر والكهانة والتنجيم وغيره.

والوسطية ترتكز في المملكة على التوازن بين ما هو وطني وبين ما هو عربي وإسلامي. وبين ما هو عالمي. فلكل دائرة احترامها وخصوصيتها وهى دوائر متكاملة ومتساندة فالشأن الوطني يمتد إلى الدائرة العربية والإسلامية ليزيد من قوة تضامنها وتماسكها وهذا بدوره يزيد من قدرة المسلمين على مواجهة التحديات التي تفرض عليهم من قوى أخرى. على أن الدفاع عن العقيدة والوطن والمجتمع واجب على كل مواطن, كما يبين النظام أحكام الجنسية السعودية والتزام الدولة بتوفير الأمن للمواطنين والمقيمين, ويحدد النظام أن العقوبة شخصية ولا جريمة أو عقوبة إلا بناء على نص شرعي أو نظامي, ولا عقاب إلا على الأعمال اللاحقة للعمل بالنص النظامي".

وفى القضاء الحقوق الخاصة والعامة معتبرة والعقوبات يحكم فيها القضاء وفق نظام يراعى حقوق الضحية وحقوق المتهم لأنه إنسان زلت قدمه والمجتمع مسئول عن إصلاحه ودمجه في الجماعة مرة ثانية. فالنظرة متوازنة لظاهرة الجريمة فلا هي تميل تعاطفا مع الضحية وتهمل المتهم ولا هي تجامل المتهم على حساب الضحية إنه نظام متوازن في الحقوق والواجبات.

وأهم عناصر الوسطية في النظام الاجتماعي في المملكة العربية السعودية وفقا لمنهج الوسطية الإسلامي :

١. المرونة والتجديد.
٢. الاعتدال.
٣. التيسير.
٤. الوسطية.
٥. الرخص الشرعية.
٦. التدرج في التشريع.

الخاتمة:

مما تقدم يتضح لنا أن الوسطية منهج قويم في الحياة كلها ، وأن المجتمع المسلم وسط عدل بين المجتمعات والأسرة المسلمة وسط بين الأسر في العالم، والمرأة المسلمة السعودية وسط بين التشدد والتبذل بين السقوط والنفور ، والزواج وسط بين التبتل والرهبانية وبين التفسخ والانحلال ، والطلاق وسط بين منعه وبين إطلاقه ، وهكذا لو استعرضنا كل نقطة من النقاط ،

حينما يفتقد بعض أفراد المجتمع الوعي السليم، والقدوة الرشيدة، ويقعوا فرائس الصراعات النفسية بين الحلال والحرام، بين الفطرة ومستجدات العصر، يبحثون عن سبل وأساليب أخرى يجدون فيها تعبيراً عن الرفض للصور غير المقبولة بالمجتمع ويتمردون على واقع يرون أنه لا يعبر عن حاجاتهم ومتطلباتهم؛ كاللجوء إلى شكل من أشكال التطرف أو التكفير وهجرة المجتمع، أو الغلو في العبادة أو التعصب في الأفكار والممارسات،أو حتى التفريط والتهاون في الأصول،والتحلل من التمسك الصحيح .

وإن قضية التصدي لظاهرتي الغلو والتطرف أو التحلل والتغريب لا تتم إلا بالعلم الصحيح والفهم الرشيد والتمسك الصحيح و بإحياء وظيفة العقل ودراسة الظروف الاجتماعية التي ساعدت على تفشي تلك الظواهر، والتعرف على العوامل المرتبطة بها، وسبل مواجهتها.

وتعد الوسطية في كل الأمور من أهم مزايا المنهج الإسلامي، فأمة الإسلام أمة الوسط والصراط المستقيم بمعنى أنها تستفيد من جميع طاقاتها وجهودها في البناء والعمران المادي والتربوي والعلمي والثقافي من غير إفراط ولا تفريط، فهي تحقق التوازن بين الفرد والجماعة، وبين الدين والدنيا وبين العقل والقوة وبين المثالية والواقعية وبين الروحانية والمادية وغيرها .والمجتمع السعودي دولة ومجتمعا يسرون على المنهج نفسه ، وفق الله الجميع

أ.د.إبراهيم بن مبارك بن موسى آلجوير